

لنحلل أولا مضمون العلاقة، فلربما ساعدنا ذلك على استكناه زواياها الأخرى: يقول المؤلف: « وأنا مدين للكحاك بمعرفة الطريق إلى طلب العلم» (ص20)، أي أنه يقر له بدور هام في التكوين الذاتي. فماذا علمه حتى نال منه كل هذا الاعتبار؟

لا يخفي الوزاني، مجددا، أن الكحاك ألزمه (ص20) باتخاذ لوح لحفظ مجموعة من المقطوعات والأراجيز، نوردها هنا مع بيان عدد مرات حفظها: الأجرومية (مرتان)، المرشد المعين (مرة واحدة) ألفية ابن مالك (؟)، مختصر خليل (بعضه)، متن ابن آجروم، الروض الفائق للحريفيش، المستطرف وهامشه ثمرات الأوراق.

لم يكتف الوزاني بهذا، بل وجد نفسه مدفوعا، وإن يكن هذه المرة برغبة دفيئة في النفس، إلى قراءة (المقامات) بصعوبة ذكرها، بالإضافة إلى كتب النحو والفقه التي يصرح أن الكحاك « كان يريد مني أن أطلعها» (ص20). ويلاحظ أن الوزاني توقف كثيرا عند ذكر شغفه بـ(القصص والحكايات)، وردد مرارا ما أخذه منها من (قصص لطيفة) و (مغازي بديعة). أتى بذلك للتدليل على مقدار (السرور العظيم) الذي خالطه عندما اتصل لأول مرة، وفي مكتبة (الكحاك نفسه) بالجزء الثالث من كتاب (ألف ليلة وليلة)، ففتح أمامه عالما سحريا مشوقا يثير اللذة.

ذكرنا هذا للقول إن دور (الكحاك) في حياة طفولة الوزاني لا يرى إلا بمعينين: الاتصال المباشر الشخصي وأثر هذا الاتصال في توجيه وجهة فكرية معينة حصل أثناءها كثيرا من «العلوم» والمعارف. الاتصال غير المباشر، والمراد أن (الكحاك) فتح أمامه عالم مكتبته، فاندفع الوزاني لمطالعة كل ما يقع عليه بصره بشغف، وكان هذا سببا في ولعه بالقصص والحكايات وكتب الأدب بعامة.

إن «منة» الكحاك على الوزاني تمثلت في توجيهه وجهة فقهية، نحوية، أدبية. فهل كان هذا الاتصال اتصالا فكريا وأديبا فقط؟.

إن علاقة الكحاك بالوزاني كانت، في الواقع، أعمق من أن يحدها اهتمام الطفل بالأدب. لقد كانت علاقة إعجاب متبادل، وهي بهذا المعنى علاقة نفسية وعاطفية، رغم الفارق الزمني الذي كان يحول دون تطورها تطورا شاملا.

يخيرنا الوزاني، بصورة تبدو أقرب إلى الاعتراف، مؤكدا بالذات على أنه يسرد ذلك الإخبار وهو في سن الكهولة قائلا: « فلقد كنا نزرر الفقيه الكحاك مختفين من الناس كي لا يرانا أحد» (ص22)، ثم يضيف معترفا في مكان آخر: «وحقيقة أن الكحاك كان يعاملني معاملة خاصة، وكان يبالي في شأني» (ص23)، حتى أنه كان يحلو له أن يطلق عليه أوصافا ونعوت لا يوصف بها إلا الأنبياء.